الرياض

ورقه ود

الكف النضرة والواقع المرّ) 1 -3(

جهير عبدالله المساعد

سمو ولي العهد الكريم صنع أياماً مختلفة لمجابهة الواقع الذي نعيش قسوته ونعيمه، حلاوته ومرّه.. وفي مواجهتين لكل منهما موقف معبر.. ولهما أكثر من معنى.. سجل سموه دوراً نابهاً للمسؤول الكبير يتميز عن كافة الأدوار المتعارف عليها لكبار المسؤولين في الكرة الأرضية.. وقام بأداء معجز.. يعجز عنه أكثر المسؤولين الكبار في أشد البلاد زعيقاً عن الديمقراطية.. ويُعد هذا الدور ضرباً من ضروب المبادرات النادرة التي لا يستطيعون تحمل تبعاتها.. أو مقاومة نتائجها دون حراسة مشددة تحميهم مما لا يحتملون!!

أختار التعليق على موقفه في تكريم الفريق الطبي الذي أجرى عملية فصل السياميين الماليزيين وأترك التعليق على موقفه الآخر المحتفى به الآن من كافة الصحف إلى وقت لاحق بإذن الله.

@لماذا أصر ولي العهد البار على استقبال معالي الدكتور فهد العبد الجبار والفريق الطبي الذي أجرى عملية فصل الطفلين السياميين في قصره ويوم راحة جميع مخاليق هذه الأرض الطيبة يوم الجمعة ومنح لهم الأوسمة والجوائز؟!!

أتصور أن هذا السؤال قد يجري في أذهان بعض الناس في الداخل.. وبعضهم في الخارج خاصة الذين يحبون الخوض في الشؤون السعودية بما ينطق به الهوى ويتبعهم فيه الغاوون!!

أليس الفريق الطبي قام بدوره الموكل إليه وطبق مسؤولياته التي يقبض عليها أجره نهاية كل شهر.. وأليس ما تم في مستشفى الملك فهد للحرس الوطني هو تنفيذ لأمر سمو ولي العهد الذي بادر إلى احتضان معاناة الطفلين بعد أن لقيا من الصدود والعنت والمماطلة عند بعض دول الصدارة ما جعلهما "ضحايا" الطب المتقدم في بلاد تحكمها إنسانية متخلفة!!؟؟

أليس واجب الأطباء الذين أجروا العملية أن يؤدوا عملهم بإتقان مما لا يدع للشكر الزائد عن حده ضرورة بناءً على مقولة "لا شكر على واجب"؟؟!!

لماذا سمو ولي العهد بنفسه استقبل الفريق الطبي.. وبنفسه كرمهم.. وبنفسه منحهم الأوسمة والجوائز.. وبنفسه عبَّر عن امتنان بلادهم لهم.. هذه البلاد التي يعتبرها المتقدمون بلاداً متخلفة وإذا شئتم اللفظ الأكثر لباقة والأصدق مجاملة أقول بلاد نامية! ويتمنعون هناك لفرط الأدب عن كتابة الوصف (النامية) بحيث تسبق الميم همزة.. بينما في سرهم يقولون (نائمة)!!

لماذا؟!!

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وقف في صف المجابهة بنفسه مع الآخرين ولم يتركها فروسيات يقوم بها بالنيابة أصحاب الأقلام.. والمتفوهون بأطيب الكلام.. وغيرهم من المتخصصين في هذه الشؤون.

حين يقال ولي العهد السعودي قام بنفسه بتكريم فريق طبي سعودي أجرى جراحة صعبة لطفلين ماليزيين، غير أن يُقال فلان الفلاني الذي يعمل مديراً أو وزيراً أو صحفياً نوه عن جهود الفريق الطبي الذي أجرى عملية فصل السياميين الماليزيين!

إنها الرسالة الأعمق لغة والأقوى أثراً والأشد إيجابية وتأثيراً.. أراد أن يقدمها الأمير عبدالله للعالم أجمع وليس المملكة بلاده على الأخص. فالطفلان من ماليزيا وليسا من السعودية واحتواء المملكة لهما في ظرف صعب إشارة للمبادرات الإنسانية التي تتزعمها هذه البلاد للناس كافة.. ولا ولن تكف عنها حتى لو قيل إنها متهمة بتصدير الإرهاب أو أن أكبر عدد من المتهمين في الممارسات الإرهابية ينتمون إليها. فإذا كانت هذه الفئة السلبية موجودة ففي المملكة فئة بشرية إيجابية تقدم وظائفها المتخصصة على مرأى الملأ وفي أدق اختصاص تحتاجه البشرية.. وليس كل أبناء هذه البلاد إرهابيين كما يزعم الآخرون بل اكثرهم العاملون بأداء يضاهي غيرهم في بلاد العالم.. حضارياً وإنسانياً وعلمياً.

رسالة فيها الكثير من الوضوح أراد أن ينقلها سمو ولي العهد إلى العالم بالصوت والصورة.. إن الدولة المتهمة زوراً في إنسانيتها هي نفسها الدولة التي بادرت إلى مالم يبادر إليه غيرها في حماية الإنسانية.. وبأداء إنساني فعَّال وباحتواء نظيف وبمساهمة نبيلة أوقفت هدر الوقت على حساب طفلين كل باب أمامهما وجداه مغلقاً إلاّ الباب السعودي وجداه مفتوحاً.. مفتوحاً لكل المنكوبين والمتأزمين والمصابين على خارطة الإنسانية جمعاء.. الباب المفتوح.. للمصري والكويتي والأردني والأفغاني والشيشاني والكشميري والماليزي والإيراني والتركي.. وكل من قصرت يده وهو محتاج وفي إشباع حاجته كف عن الأذى والامتهان والتشرد والضياع والبؤس والعوز والفاقة.. وهذه أدوار طليعة لا تصلح إلا للدول الواثقة بنفسها والمشبعة بإيمانها والقادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها.. ولهذا كان التكريم على أعلى مستوى إشارة لكل إنسان يظن في السعودية ظن السوء أن هذا البلد على درب الخير يسير ولن توقفه تهمة أو يحد من نشاطه ادعاء.

هناك فرق لا تخطئه عين.. ويدركه كل أعمى.. فرق واضح بين دول تُساند الإرهاب.. ودول تسعى إلى الإعمار.. وفرق بين تمويل الإرهاب.. وتمويل المساعدات الإنسانية فإذا أرادوا عنوة الخلط بين الأدوار.. والادعاء على السعودية أنها تدعم الإرهاب فلن يكلفهم ذلك إلا غالياً.. أما السعودية فلن توقفها التهمة عن تمويل المساعدات الإنسانية ولو كره المتربصون.. ولو كره الكارهون.

@إن العملية الجراحية التي قام بها الفريق الطبي السعودي جاءت في وقت زادت فيه العتمة على النور.. وتكاثف التشويش على سمعة المملكة.. ومثل هذه الأعمال المرئية والمسموعة هي من أفضل الرسائل الموجهة للآخرين في العالم الآخر.. لم تكن ماليزيا وحدها أو الشعب الماليزي هو الممنون والشاكر والمعجب بما فعلته السعودية.. كان هذا الحدث على مستوى العالم كله مبهراً وجاذباً ومؤثراً.. لذا أسر الكثيرين في الخارج تجاه المعروف السعودي.. مثلما حررهم من التواطؤ على اعتبار أن المملكة مصدر للإرهاب كما يزعمون!

لذا حبذا تكوين لجنة داخلية مسؤولة عن متابعة مثل هذه القضايا التي تحقق أكبر قدر من الشعبية والحضور في وجدان العالم بحيث يتم التعامل معها عملياً بأداء عملي يراه الناس معبراً عن الموقف السعودي دون الاعتماد على القدرة الكلامية في الدفاع عن سمعة المملكة.. إن العمل خير برهان أمام دول تقدس العمل.. ومثل هذه الإنجازات تلفت نظر الآخرين وتقدم المملكة في صورتها الإنسانية القادرة على طمس معالم الظنون السوداء التي ليس عليها دليل.. إن محاربة الكلام بالعمل خير وسيل للدفاع القوي.

هذا شيء.. والشيء الآخر.. إن سمو ولي العهد خلال ممارساته المتعددة والمتنوعة.. تبدو فيه خصلة برزت بين خصاله الأخرى تتمثل في حبه التواجد حيث يكون الناس الذين يعملون.. ويتعايشون.. ويتحركون يحب الاختلاط بالآخرين أينما كانوا في مواقعهم المختلفة فيكون معهم على سجيته وهم على طبيعتهم.. خصلة نادرة في المسؤول الذي يجلس على الكرسي الثاني في الحكم.. لذا نجده مرة يزور الأسواق العادية يتجول مع الناس العاديين ويأكل من طعامهم دون تخوف أو حذر.. يبتسم لكل الوجوه ويغادر محبوباً بعد أن نثر من طيبته وحلو سجيته في الجو العام ما زاد من حميمية العلاقة بين الحاكم والمحكوم.. ومرة نجده بين المصابين بوباء فتاك.. ومن حوله الأطباء والوزير المسؤول يكممون أفواههم إلا هو ينتقل من مريض إلى آخر بإيمان عميق وثقة بالله تخيم عليه. هكذا هو يجب أن يكون حيث تكون النخوة والشهامة والطيبة والعمل الجاد فكان طبيعياً أن يبادر في يوم إجازة إلى استقبال فريق أبلى بلاءً حسناً ومن هنا لنا بإذن الله لقاء عن مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني.